أعداء النجاح

د. رتيبة الحفنى

رفـض أبى العمل معـى فى مكان واحد.. واكتشفت أنه كان يحمينى من شرذمة من الأشرار.

.. سامحنى يا أبى.. ظلمتك. أسأت فهمك.. صرخت الدكتورة رتيبة الحفنى بهذه الكلمات ودموع غزيرة تنهال على وجنتيها فور اكتشافها لذلك السر الخطير الذى ظل حبيس رزمة من الأوراق بين طيات واحد من كتب والدها الدكتور محمود أحمد الحفنى مراقب عام الموسيقى بوزارة المعارف سابقا ورائد الموسيقى.

كان ذلك بعد وفاة والدها بعدة أيام حين اتفق أشقاؤها على إعطاء رتيبة مفتاح مكتبة والدهم.. قائلين لها.. إنك أحق منا بها.. فهذه المكتبة تضم مؤلفات فى الموسيقى والفن وهى أكثر إفادة لك.. لم تستطع برغم الحدث الجلل أن تخفى فرحتها بتلك الثروة الثمينة التى تعد أعظم تذكار حى من والدها وأستاذها الراحل.. بالإضافة لاحتوائها على كنوز ثمينة من أمهات الكتب فى الموسيقى والأدب.. والفن.

أمسكت د. رتيبة الحفنى مفتاح المكتبة.. وبيد مرتعشة أدخلته فى ثقب الباب.. ودلفت داخل الحجرة وكأنها تسير فى محراب مقدس.. رهبة شديدة تهز وجدانها وتتسلل إلى مسامها فتخدر أوصالها.. كل ركن من أركانها يفوح برائحة الذكريات.. نظرت رتيبة إلى الكتب المتراصة على الرفوف من حولها.. وقعت عينا رتيبة على كتاب بعينه امتدت يدها بحنان جارف تمحو ذرات التراب المتناثرة على غلافه الذى يحمل اسم والدها الحبيب.

مدت يديها تقلب صفحات الكتاب تقرأ بعضًا من سطوره بشغف وحب واعتزاز صفحة فالثانية فأخرى.. تسمرت عيناها على رزمة من الورق.. منطوية.. مختبئة بين أحضانه وقد علاها بعض الاصفرار..

كان من الواضح أنها وضعت هكذا منذ فترة بعيدة داخل صفحات هذا الكتاب.

لم تعلم رتيبة أن هذه الأوراق والتى على قيد أنملة منها تحمل سرا كبيرًا طواه والدها فى صدره ولم يفصح عنه قط.. قرأت السطور الأولى فى إحدى الوريقات الملتصقة ببعضها البعض وكأنه يجمعها شىء واحد لا مفر منه..

ومن بين السطور المتشابكة كغابة لم تمتد إليها يد إنسان قفزت الحقيقة المريرة كحية تود الانقضاض عليها.. وأصيبت رتيبة بفزع شديد وكادت أن تفقد توازنها.. استندت على الجدار وقد أصابها دوار المفاجأة..

الآن عرفت.. رددت لنفسها قائلة: الآن عرفت السبب لرفضك الدائم يا أبى الوجود معى فى مكان واحد. فى المؤتمرات والندوات!!..

الآن عرفت لماذا رفضت ترشيحى للمجلس الأعلى للفنون برغم ترشيح الأديب الكبير يوسف السباعى ورئيس المجلس.. لى..

الآن.. أجد الإجابات عن تساؤلاتى وحيرتى!!

كانت كلمات الخطابات تفوح برائحة الكراهية والحقد الدفين والضغينة والحسد لرتيبة الحفنى.. تضمنت السطور اتهامات صريحة للدكتور محمود الحفنى بمساندة ابنته ومساعدتها فى الوصول إلى منصب عميد المعهد العالى للموسيقى العربية وهى فى الواحدة والعشرين من عمرها.. أعلن أصحاب الخطابات والتى وقعت بأسمائهم بلا أى خجل أو شعور بالندم رفضهم التام للدكتورة رتيبة واستمرارهم فى محاربتها

مهما طال الزمن..

وكانت الدهشة الأكبر أن هذه الشخصيات من أعلام الموسيقى ومازالوا يعيشون ويعملون بالقرب منها..

ولم تشعر رتيبة بأشياء تجاههم لم تشعر إلا بالشفقة عليهم.. أكلتهم غيرتهم وظلت هى تتقدم..

وأفاقت د. رتيبة الحفنى من الدهشة والتعجب والمفاجأة على دموعها تبلل وجهها.. قالت.. الآن عرفت يا أبى.. كنت تحمينى.. كنت تدفع عنى فى صمت أعداء النجاح.. رحمك الله يا أبى.

□□□